السراكينوى هم السرويون

للأب أنستاس مارى الكرملى

١ — السراكينوى لا السراكينوسى

كتب حضرة الأستاذ الجليل محمد عبد الله العمودى مقالة بعنوان (السارا كينوس) فى الجزء الـ ٣٢٧ من (الرسالة)، ونَقَلَ عبارة المسعودى المأثورة عن نقفور الأول، ملك الروم، وهى: «وأنكر على الروم تسميتهم العرب (ساراقينوس)، تفسير ذلك: عبيد سارة، طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل، وقال: تسميتهم عبيد سارة كذب. والروم إلى هذا الوقت (يعنى سنة ٣٤٥) تسمى العرب (ساراقينوس) ... اهـ

قلنا: إنّ حضرة الأستاذ خُدع بما طُبع من نص هذا الكتاب، إذ نقل (سارا كينوس) أو (ساراقينوس) بمعنى العرب. والصواب أن قد وقع خطأ فى طبع هذا الاسم وهذا الصواب هو (سارا كينوى) أو (ساراقينوى)؛ أى بياء فى الآخر فى مكان السين. وأما إذا كان اللفظ مختوماً بسين فيدلّ على الفرد لا على الجمع، كما هو مشهور فى تلك اللغة

٢ — معناها

وأما أن نقفور قال: معناها عبيد سارة، فهو من تأويله الخاص به، ولم يذهب إليه أحد من العلماء الأقدمين، ولا من المحدثين. وأنّى عليم أن هذا الملك وُلِدَ فى سلوقية العراقية، فى جوار المدائن، وكان فيها يومئذ مدارس عامرة تضارع أشهر مدارس ربوع اليونان؛ فتبحّر نقفور فيها كما تبحر فى مطالعة التواريخ القديمة. ولو كان معنى هذه الكلمة كما يقول هذا الملك لقيل Sara-Ktènoi (أى سارا كينوى)، أى مملوكات أو مماليك سارة، لكن لم ينطق أحد من المؤرخين أو المؤلفين بهذا اللفظ، اللهم إلا أن يكون قد نُحِتَ وصُحِّفَ فقيل ما قيل. لكن يبقى أن هذا التأويل خاص بالملك نقفور دون غيره؛ ويدل على قوة فكره، وتضلعه من اليونانية، وتلاعبه بالألفاظ والتصرف فى التخريج وأوّلَ هذا التأويل نزلفاً من الناطقين بالضاد،

واستمالتهم إليه، إذ كان فى حاجة إليهم يومئذ، واسترضائهم فى ذلك العهد، وليس للمسعودى أدنى خيال فى هذه المسألة. فهو إذاً ناقل لا قائل، والمسعودى مؤرخ أمين وفىّ، لا يستحق أن يغمز غمزات هو برىء منها

٣ — معالجتنا لهذا الموضوع قبل ٣٥ سنة

وكنا قد عالجنا هذا الموضوع منذ أكثر من ٣٥ سنة، فأدرجنا فى المشرق (من مجلات بيروت) فى سنة ١٩٠٤ فى مجلدها السابع ص ٣٤٠ إلى ٣٤٣ مقالة عنوانها: (العرب أو السَّرْحِيُّون). ثم عدنا إلى البحث، فنشرنا فى مجلتنا لغة العُرب ٧: ٢٩٣ إلى ٢٩٧ مقالاً وسَمَّيناه (السرحيون أو الشرويون)، وفى ٧: ٤٨٨ و ٤٨٩ أيضاً. وعدنا إلى البحث رابعة فأصدرنا مقالة فى لغة العرب المذكورة فى ٨: ٥٨٤ وسمّيناها (الشرويّون)، وبينا أن (سراكينوى) هم الشرويون أو أهل الشراة، وهو اسم العرب الذين يقطنون الشراة، وهو صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول، وكان من عمل جُند دمشق

والآن نقول إنّ صحيح الاسم هو السراة بالسين المهملة، لا الشراة بالشين المعجمة

وأما كيفية تحوّل السراة إلى (سراكينوى) فظاهر من أن السراة، وهى تشبه سارة بعض الشبه إذا ما كتبت بحروف يونانية أو رومانية، كُسبت بأداة النسب عندهم، فصارت (سراكينوس) بالمفرد، و(سراكينوى) بالجمع. فانتهز هذه الفرصة الملك نقفور وأوّل اللفظ بالوجه الذى نقله المسعودى

هذا هو تأويل اللفظ اليونانى، وهذا هو وجه تحوله إلى ما تراه وتسمع به

٤ — ذكر اللفظة عند المسعودى

أما قول الأستاذ العمودى (ص ١٩٣٩ من الرسالة):

«هذه الكلمة قد سجلها التاريخ فى مطاويه منذ عهد عريق جداً، فالعرب لا تعرفها مطلقاً، إذ لم تشتهر فى تاريخهم، وما وردت فى نظمهم ولا نثرهم. فإذا كان المسعودى هو المؤرخ الوحيد الذى ذكرها، فلا شك أنها هبطت عليه عرضاً، واقتنصها اقتناصاً من أحاديث الروم. ومعنى هذا أنها غير مشهورة

بين العرب ، ولا جارية على ألسنتهم ، فهم يجهلونها كل الجهل ، جهلهم بأصلها »

فجوابنا هو : لا يمكن أن تكون هذه اللفظة معروفة عند العرب بهذه الصيغة الفلوجية المعوجة ؛ إنما يقولون : أهل السراة أو السرويون . — وأما أن المسعودي هو المؤرخ الوحيد الذي ذكرها ، فنحن لا نوافق عليه حضرة الكاتب الجليل ، فقد ذكرها ابن الأثير أيضاً في تاريخه (١ : ٢٤٠ من طبعة الإفرنج) بصورة (ساراقيوس) ونقل عبارة تقفو رعيها ، فقال : « وكانت الروم تسمي العرب سراقيوس (كذا) ، يعني عبيد سارة بسبب هاجر أم إسماعيل . فنهاهم عن ذلك » اه

ومعلوم أن ابن الأثير جاء بعد المسعودي بنحو ثلثمائة سنة ، فلا جرم أنه نقل هذا الخبر عنه . وكنت قد قرأت في كتاب تاريخ قديم سبق المسعودي بنحو مائة وخمسين سنة ، وهو لنصراني ذكر (الساراكينوي) فيكون هو أول مؤرخ عربي ذكرهم بهذا الاسم ، فأخذ عنه سائر مؤرخي العرب ، لكني لا أتذكر اسمه ، ولا اسم كتابه

وعلى كل فليس للمسعودي أدنى خيال في هذه الكلمة ، فهو ناقلٌ ، ثقةٌ ، حجةٌ ، ثبتٌ ، يعتمد عليه

٥ — لماذا سمى العرب ساراكينوي أي سرويين

إن الأمة الواحدة ، الوافدة على أمة ثانية ، إذا اتصلت بها حديثاً وهي لا تعرفها ، سميت المجهولة باسم تذكره لها الأولى ، كما أنه إذا جاءك طارئٌ تجهل اسمه ، فإنك تسميه بعد ذلك بالاسم الذي عرّفك به ، لا بالاسم الذي تضعه أنت له . فاليونان والرومان اتصلوا بعرب السراة أو السَروات منذ أقدم الأزمنة ، فذكروهم بالاسم الذي تسموا هم به ، ثمّ أطلقوه على العرب جميعهم من باب تسمية الكل باسم الجزء ، كما أن الإرَميين لا يعرفون العرب إلّا باسم (طائيين) لأنهم أول ما عرفوا منهم ، كانوا من طَيّ لمجاورتهم لهم ، واتصالهم بهم ، ثم أطلقوا هذا على العرب جميعهم وإن لم يكونوا من طيّ . ومثل هذه التسمية كثيرة الوقوع في التاريخ

٦ — موافقة الساراكينوي للسرويين في جميع ما نقل عنهم

إذا حفظتَ في صدرك ما بسطناه لك ، انجلتْ لك عرائس الحقائق بوجوهها الصبيحة . فقد نقل الأستاذ الفاضل من المعلمة الإيطالية : « إن هذه الكلمة أصبحت اليوم علماً خاصاً يطلق على العرب ، فإن مفهومها قديماً كان على عكس ذلك ؛ فقد كانت تدور في دائرة ضيقة من التعريف لا تطلق على الشعب العربي كله إنما كانت خاصة بقبيل معيّن يسكن على شواطئ خليج العقبة في الجزء الجنوبي لجزيرة سيناء يعرفه الإغريق بـ (ساراكين) اه . فهذا داخل في أن هـذا الجزء من سيناء هو من ملحقات السراة لا غير

وقول الأستاذ العمودي : « وأقدم ذكر جاء لهذه الكلمة في كتاب المؤرخ الإغريقي Dioscorids of Anazarabos في منتصف القرن الأول من ميلاد المسيح عند ما وصف صمغ « المقل » ، فقال : إنه ينبت من « شجرة ساركينية » اه . قول يحتاج إلى تصحيح فيقال : « وأقدم ذكر جاء لهذه الكلمة (هو) في كتاب الطبيب الشجار الإغريقي ذياسقوريدس المعيّن زربي[1] ، من أبناء المائة الأولى للمسيح حينما وصف صمغ « المقل » ، فقال : « صمغ شجرة تكون ببلاد العرب » (عن ابن البيطار في مادة « مقل » ٢ : ١٦٢ من طبعة مصر) وأحسن من هذه العبارة هذه الترجمة : « هو صمغ شجرة تكون في السراة أو في السروات »

وقال الأستاذ العمودي نقلاً عن معلمة الإسلام وإن لم يصرح به : « وذكر المؤرخ الروماني بلينوس الأكبر في كتابه « التاريخ الطبيعي » ، وقد كان معاصراً للاغريقي السابق الذكر ، هؤلاء

(١) نقل الأستاذ كلامه عن معلمة الاسلام ولم يشر إليها ، ورواية المعلمة سالمة من التصحيف فليرجع إليها : وراجع تاريخ الحكماء لابن القفطي ص ١٨٣ من طبعة الافرنج ، والفهرست ص ٢٩٣ من طبعة أوربة ، فقد قال الأول : معنى اسمه في اليونانية : شجار الله ، لأن ذياسقور : شجار ، وبندوس : الله ، أي ملهم الله على القول في الأشجار والحشائش » والمشهور من ذياسقوريدس أو ديسقوريدس ، كما يكتبها آخرون ، لم يكن مؤرخا بل كان طبيبا وشجارا ، وصف أحسن وصف العقاقير الطبية ، وعنه نقل معظم العرب ما ذكروه عن الأنبتة وخصائصها الطبية كابن البيطار والغافقي وأبي الريحان البيروني ، وحبيش ، والتميمي ، والبصري ، والشريف ، وإسحق بن عمران ، والمنصور ، وأبي العباس الحافظ ، وغيرهم

« السراكين » ، فقال : « إنهم من جملة القبائل العربية الثاوية فى صميم الصحراء ، والتى تتاخم بلادهم بلاد الأنباط » اهـ

قلنا : ولو قيل : « إن السرويين أو أهل السراة هم من جملة القبائل العربية ... » ، لكان الكلام عين الصواب . لأن صفة البلاد التى وصفها بلينوس هى صفة ديار السرويين تماماً

ومن مقال الأستاذ العمودى ، وهو مقتبس أيضاً من المعلمة الإسلامية : « وجاء على أثر هؤلاء ؛ المؤرخ بطليموس ، فى منتصف القرن الثانى للميلاد ، فذكر بلاد « السراكين » Sarakene فقال : « إنها تقع فى بلاد العرب الحجرية Arabia Petrea ، وعيّن مكانها بقوله إنها تقع فى غرب الجبال السوداء (لعل الصواب السُّود) التى تمتد — بناء على قوله — من خليج فاران إلى أرض اليهودية ... »

قلنا : وهذا يثبت ماذهب إليه وُصّاف البلدان من السلف أى أنّ السرَوَات تمتد من أقصى اليمن إلى الشام »

وأما قول الأستاذ العمودى : « ولم يكتف المؤلف بكلامه هذا ، بل عاد ونقض قوله ، فقال فى موضع آخر من مؤلفه : « إن « السراكين » شعب يقيم فى داخلية بلاد العرب السعيدة Arabia Feliza (كذا . ولعل الصواب Ar. Felix) يقصد بذلك بلاد اليمن وزاد على ذلك فقال : إن السكينتس Skenites وقوم عاد Oaditai يسكنون الهضاب المرتفعة ، وبالقرب منهم نحو الشمال والجنوب يوجد « السراكينوس » و« الثموديون » اهـ

ثم قال الأستاذ العمودى: وهذه الفقرة الأخيرة من بطليموس بعيدة عن أفهامنا كل البعد إذ لا يصدق مطلقاً أن توجد قرابة فى المسكن بين « السراكينوس » و « العاديين » مثلاً . فأولئك — كما علمنا — مساكنهم حوالى جزيرة سيناء ، وهؤلاء مثاويهم فى جبال حضرموت ، والمسافة بين البلدين طويلة لا تقاس » اهـ

قلنا : إن حفظنا فى ذاكرتنا السروات وأنها تمتد من أقصى اليمن ، وفيها حضرموت ، إلى الشام ، فهمنا كلام بطليموس كل الفهم ، وبلا أدنى صعوبة ، من أوله إلى آخره ، وأن ليس ثم أدنى مناقضة . فبعض المؤرخين من اليونان والرومان تكلموا على قسم من ديار السرويين ، وآخرون على القسم الأوسط ، وكثيرون على أقصى تلك الربوع ، حسب احتياج الكاتب إلى ذكر قسم دون قسم آخر من السراة

(البحث بقية — بغداد) الأب أنستاس ماري الكرملي

شركة مصر للملاحة البحرية

ببواخرها الفاخرة وفنادقها الأنيقة

تسير بكم على بركة الله إلى بيت الله الحرام

وبنك مصر يؤدى لكم جميع الخدمات المصرفية ويتولى عنكم دفع الرسوم

خذوا أهبتكم للحج هذا العام

جميع الاستعلامات من :

شركة مصر للملاحة البحرية وفروعها